Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكما قلت : كان المحيط الجليل ينشر صوته المرح المسالم ، ويتغنى كزامير داود فوق الجبل ، يشيد بجمال الخليقة . وهديره الصخاب تحمله النسائم أو تحمله العواصف ؛ دون انقطاع يصعد إلى الله ، أكثر ظفراً أو أكثر انتصاراً . وكل موجة من موجاته التى لا يكبح جماحها سوى الله — حين تخر الموجة الأخرى — تصعد هى تتغنى بعظمة الخالق . .

على أنه إلى جانب اللحن المبجل ، ينطلق اللحن الآخر ، كصهيل حصان بجفل ، أو كصوت مقبض صـــدى فوق باب الجحيم ، أو كوتر من نحاس على عامود من حديد ، يصر صريراً : بكاء وصيحات ، وسب وتجديف ولعنات وإلحاد وضجة ، فى دوامة الموجات من صخب الإنسانية . فما أشبهه بما يرى المرء فى الأودية من أسراب طيور سود تنطلق ليلا جماعات جماعات . فما ذلك الصوت الذى تنطلق آلاف أصدائه تثير أزيزاً ؟ وأسفا ! ، إنه الإنسان والأرض يبكيان .

أى إخوتى ! هذان الصوتان العجيبان الرائعان ؛ دون انقطاع منطلقان مكبوتان ؛ يصغى إليهما الأبدى طيلة الأبدية ، أحدهما يقول : « أنا الطبيعة » ، والآخر : « أنا الإنسانية » .

حينذاك أخذت أفكر ، إذ لأن عقلى الوفى لم يبسط قط جناحه كما بسط ، وفى ظلمات نفسى لم يشرق قط نور كما أشرق هذه الآونة . وحلمت طويلا ، وتأملت على التعاقب فى الهوة المظلمة التى تواريها دونى صفحات الموج ، ثم فى الهوة الأخرى التى انفرجت عنها نفسى وليس لها من قرار ، وتساءلت : لم كنا فى هذا العالم ؟ ثم ماهى الغاية من كل هـــذا بعد ؟ وما قيمة الروح ؟ وأيهما أفضل : وجود الجمادات أم حياة الأحياء ؟ ولم يظل الله ، وهو وحده الذى يستطيع أن يقرأ كتاب الطبيعة الذى ألفه ، يمزج أبديا ، فى لحن مقدور ، أغنية الطبيعة بصيحات آلام البشر ؟ » .

فى هذه القصيدة نرى « فيكتور هوجو » يصغى من جهة إلى صوت البحر الفسيح اللانهائى الوديع القوى ، المؤتلف فى موسيقا لاتوصف . . إنها موسيقا